الظاهرة التربوية للأسرة الجزائرية: صراع الثبات والتغير

The educational phenomenon of the Algerian family: Conflict of Stability and Change

الباحث.حبي محمد– جامعة أبي بكر بلقايد_بتلمسان-الجزائر

الباحث.بن تامي رضا_جامعة أبي بكر بلقايد_تلمسان-الجزائر

ملخص:

تتضمن هذه الدراسة والمعنونة بالظاهرة التربوية للأسرة الجزائرية صراع الثبات والتغير دراسة سوسيولوجية عن الأسرة الجزائرية من خلال استعراض العائلة والخصائص السوسيولوجية التي تتبناها ثم التعريج على مفهوم التربية الأسرية ثم الوصول إلى أهم الظاهرات التربوية في الأسرة الجزائرية بالتطرق إلى الجانب المهم في التربية الأسرية عند العائلة الجزائرية حيث أنها تمثل نسقا معقدا ومتنوعا، فهي ليست نووية وليست ممتدة بالنظر إلى بنيتها، إنها لا عصرية ولا تقليدية بالنظر إلى أدائها الوظيفي.

abstract

This study, entitled "The Educational Phenomenon of the Algerian Family," discusses the sociological struggle of the Algerian family through a review of the family and the sociological characteristics it embraces, and then on the concept of family education and reaching the most important educational phenomena in the Algerian family by addressing the important aspect of family education. The Algerian family, since they represent a complex and diverse pattern, are not nuclear and not extended in view of their structure. They are neither modern nor traditional given their performance.

مقدمة:

تحظى الأسرة كموضوع للبحث بالاهتمام في مختلف العلوم الإنسانية لأنها تتشكل من أفراد تربطهم علاقات اجتماعية،وهي نظام اجتماعي قائم وبالتالي هي مجموعة القواعد التي تنظم عملية الارتباط بين الذكور والإناث في الزواج، العلاقات الأسرية،الإنجاب وتربية الأطفال.

وبما أن الأسرة الجزائرية هي أحد أهم مكونات المجتمع، فإن التربية فيها تهدف إلى طبع سلوكات أفرادها بما يتطابق ومضمونها الاجتماعي،وهذا لا يكون إلا عن طريق ترسيخ نظامها التربوي في ذهنية الطفل، إذ تقدم له أهم المبادئ التربوية المراد تحقيقها، للوصول إلى هذا المبتغى تستعمل الأسرة مجموعة من الوسائل التربوية لتكوين أفرادها ذكورا وإناثا بشكل يتلاءم مع النظام التربوي السائد في المجتمع.

المبحث الأول - الخصائص السوسيولوجية للأسرة الجزائرية التقليدية (العائلة):

حينما نتحدث عن الخصائص السوسيولوجية للعائلة ،فإننا عندئذ نسعى إلى إبراز سمات النموذج الاجتماعي الثقافي للأسرة الجزائرية التقليدية،) (بوتفنوشت ، 1984،ص .37) التي انبثقت منها الأسرة الجزائرية المعاصرة المتحولة.قبل أن نتطرق إلى دراسة أهم الخصائص للأسرة الجزائرية يجدر بنا أن نمر أو نعرف ماهية الأسرة الجزائرية.

1-1 الأسرة الجزائرية:

الأسرة الجزائرية هي أسرة أبوية، أي أن القرابة دموية تتبع الخط الأبوي.والأسرة نوعان: أسرة ممتدة أو كبيرة تشمل الأب والأم وأبنائهما، كالذكور المتزوجين ونسلهم والأعمام ونسلهم، ثم أسرة نووية التي لا تضم سوى الأب والأم وأطفالهما، وتمتاز الأسرة الممتدة بانتشار التعاون والتآزر وتقاسم المصالح وهي من ناحية مشبعة للحاجات، من ناحية أخرى موطدة للعلاقات والتفاعلات في حين تمتاز الأسرة النووية بالاستقلال في اتخاذ القرارات والحرية في تسيير شؤون الأسرة وتربية الأطفال.

مع العلم أن المجتمع الجزائري كان فيما مضى مجتمعا ذا عائلات ممتدة، لكن نتيجة التغيرات الاجتماعية الكبيرة تحول إلى مجتمع ذي عائلات نووية مع وجود عدد لا بأس به من العائلات الممتدة.

في هذا الصدد يقول بيير بورديو(Pièrre Bourdieu) الذي عاصر فترة طويلة المجتمع الجزائري "الأسرة الممتدة هي الخلية الاجتماعية الأساسية.....النموذج الذي على صورته تنتظم البنيات الاجتماعية، لا تقتصر على جماعة الأزواج و ذرياتهم ،ولكنها تضم كل الأقارب التابعين للنسب الأبوي، جامعة بذلك تحت رئاسة قائد واحد عدة أجيال في جمعية واتحاد حميميين (Bourdieu، 1974، p 12)

بينما يعرف مصطفى بوتفنوشت العائلة كما يلي " الأسرة الجزائرية هي أسرة ممتدة تعيش في أحضانها عدة أجيال ،عدة أسر زواجية،تحت سقف واحد" الدار الكبرى "عند الحضر ،و" الخيمة الكبرى " عند البدو،إذ نجد من 20 إلى60 شخصا أو أكثر" . (Boutfnechout ، 1982 ،p 40)

2-1 نمطية وخصائص العائلة:

الأسرة الجزائرية شأنها شان الأسر في العالم العربي تمتاز بقيم، وخصائص مشتركة مع نظيرتها في العالم العربي نظرا للتاريخ والدين المشترك،ولكن هذا لم يمنع وجود خصائص تتميز بها الأسرة في الجزائر. فمن الناحية البنائية تتركب من خليتين أسريتين أو أكثر ،تضم أكثر من جيلين اثنين فتشمل الأجداد والآباء والأحفاد. يقيم هؤلاء جميعا في وحدة سكنية مشتركة ،يمكن أن يكون هذا الامتداد عموديا في ضم

مثلا أسرة الأب التي تمثل النواة ،وأسر أبنائه المتزوجين التي تحيطها؛ أو أفقيا في شمل اتحاد أسر الأخوة بعد وفاة أبيهم، حيث شكلت العائلة في المجتمع التقليدي وحدة إنتاجية غير منقسمة.

بل إن تماسك الأفراد داخل هذه البنية الاجتماعية نابع أساسا من رابطة الدم، بالإضافة إلى أن ما يضمن وحدة العائلة وتلاحمها أيضا هي وحدة الملكية ،سواء كانت أرضا ،قطيعا أو وسائل العمل الجماعي.......الخ. فالملكية العائلية هي ملكية خاصة ،لكن لا يجوز بيعها أو تقسيمها ، فإذا حصل التقسيم وتم البيع غالبا مايكون بين الأقارب أنفسهم.

في هذا يقول محمد الطي "فأولوية القرار العائلي على القرار الفردي في مسألة التصرف بأراضي الملك ،جعل من هذه الأراضي إسمنت العائلة و أحد أسس ترابطها " (الطيبي ، 1992 ، ص . 17).

نظرا لأهمية الوظيفة الاقتصادية التي تؤديها العائلة لأفرادها في المجتمع التقليدي ،فإنه" كان لا يحدد مركز الشخص كفرد معزول ،لكن ينظر إليه كعضو في أسرة محددة معينة ،إذ كان إسم الأسرة هو المهم والمؤشر وليس إسم الشخص الفرد ،فاسم الأسرة يمثل بطاقة تعريف يجب المحافظة عليها وحمايتها." (الوحيشي ، 1998، ص 71)

الجد الأب أو أحيانا الأخ الأكبر يعتبر رئيسا ومركز قوة، وسلطته ذات طبيعة مطلقة ونهائية ...وانطلاقا من هذه الميزة التي يخولها له العرف والعادة،يسهر على وحدة الملكية وعلى تماسك الجماعة العائلية ،و ينوب عن أفرادها ويمثلهم في جميع المعاملات والعلاقات خارج الأسرة.

كذلك تمتاز الأسرة الجزائرية بأنها ذات طابع أبوي ذكوري، حيث تكون السيطرة فيها للأب أو الأخ الأكبر وهي كذلك أبوية من حيث النسب وأبوية من حيث السكنى، أي أن إقامة الزوجين تخضع لقاعدة السكن مع والد الزوج.

فالعائلة أسرة ممتدة أنها من الناحية البنائية تتركب من خليتين أسريتين أو أكثر، تضم أكثر من جيلين اثنين ،فتشمل الأجداد والآباء والأحفاد ،يقيم هؤلاء جميعا في وحدة سكنية مشتركة فتتركز السلطة في يد

كبار السن وعلى رأسهم رب العائلة ،وهؤلاء الكبار والشيوخ والكهول يمارسون سلطتهم وتسلطهم على الصغار ،الشباب و الأطفال ويتوقعون منهم الطاعة ،والامتثال للأوامر ،واجتناب النواهي.

يمكن كذلك أن نصف الأسرة الجزائرية التقليدية بأنها طبقية أي أن السلم العائلي فيها يخضع لمعطيات مثل الجنس أو السن حيث نلاحظ أن الذكر أكثر شأنا من الأنثى وكذلك الأمر والنهي دائما يكون في يد الكبير،" في احتلال أب رأس الهرم ،ويكون تقسيم العمل والنفوذ والمكانة على أساس الجنس والعمر. " (بركات ، 1984 ، ص 179)

كما أن السلطة الأسرية تتركز خاصة في يد الذكور ،وهذا كله يترتب عنه شكلا هرميا سلميا لتوزيع السلطة ،وعلاقات اجتماعية تراتبية ،وتقسيم الفضاء الاجتماعي،فضاء عام مخصص للرجال وممنوعا على النساء،وفضاء خاص داخل البيت، يحرم على الرجال المكوث فيه طويلا في النهار.

فالمرأة ترتبط بفضاء الدار بأكثر من علاقة ،حيث أصبحت كل واحدة امتدادا للأخرى في المخيلة الشعبية من العادات والتقاليد والمعتقدات والتي بحكمها أصبحت المرأة عنصرا لا يتحرك إلا في الدار، فهو فضاؤها الوحيد بامتياز والذي يأخذ أكبر قسم من وقتها إن لم نقل كله ، فلقد أصبحت المرأة فضاء الدار ،وفضاء الدار يعكس المرأة ،فالمرأة بفضاء دارها وفضاء الدار بامرأته.

وقد تلتقي المرأة والدار في طابع الأنوثة بكل ما تحمل من دلالات نفسية وثقافية واجتماعية بالنسبة للرجل الدار والمرأة هما شيء واحد، ولهما نفس القدسية ويجب الدفاع عنهما بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

أما الظاهرة الأخرى التي يمكن أن نميزها في العائلة هي الزواج الداخلي،يقول عبد الغني مغربي " والواقع أن الضعالة،أعني بها لزواج بين أفراد الجماعة الأصلية ،يبدو ضروري في المجتمع المغربي ،فالضعالة تعتبر ضرورة في الواقع لا مسألة موصى بها فقط فالأمر في هذه الحالة يتعلق بقرابة العصب الثنائية ،قرابة من جانب الأم ،وقرابة من جانب الأب الذي ليس هو سوى ابن العم الشقيق لزوجته" (مغربي، 1988، ص . 14) .

فالزواج الداخلي يعكس ميل الجماعة نحو العائلة،العشيرة أو القبيلة لتمتين الروابط بين أفرادها وإبقاء الإرث في حوزتها ،عكس الزواج الخارجي الذي تهدف الجماعة من ورائه إحراز مصالح اجتماعية، اقتصادية أو سياسية من جماعات أخرى خارجية.

ومنه نستخلص أن الأسرة الجزائرية تمتاز بجملة من الخصائص كما يذكر الباحث مصطفى بوتفنوشت تمتاز الأسرة الجزائرية بعدة خصائص منها:

-الأسرة الجزائرية هي عائلة موسعة, حيث تعيش في أحضانها عدة عائلات زواجيه تحت سقف واحد تسمى "الدار الكبيرة "يعتبر فيها الأب أو الجد هو القائد الروحي للجماعة الأسرية وينظم فيها أمور تسيير الجماعة وله مرتبة خاصة تسمح له بالحفاظ غالبا على مركزه في الأسرة بواسطة نظام محكم على تماسك الجماعة المنزلية، وفيها النسب ذكوري والانتماء أبوي، والمرأة يبقى انتماؤها لأبيها.

- تنتقل المسؤولية من الأب إلى الابن الأكبر حين غيابه وهذا للحفاظ على التوازن داخل الأسرة.

-إن العائلة الجزائرية هي عائلة متماسكة أي أن الأبله المسؤولية على كامل الأفراد فالبنات لا يتركن البيت إلا عند زواجهن والأبناء لا يتركون البيت الكبير.

-العائلة مصطلح يفهم منه تماسك الجماعة الأسرية الجزائرية التي يصفها ابن خلدون بالعصبية فبواسطتها تطورت القبائل نحو السلطة ونعني بها الشرف الأكبر الذي يبين الموقع الروحي والاقتصادي للجماعة في الأسرة (بوتفنوشت ،1984،ص .41) .

3-1 التنشئة الاجتماعية للعائلة الجزائرية:

التنشئة الاجتماعية عملية مستمرة تبدأ مع الولادة وتتواصل مدى الحياة وتضطلع بها الأسرة و المدرسة ومؤسسات المجتمع الأخرى، كالمسجد ومركز الرعاية والجماعات الاجتماعية كجماعة الشارع وجماعة الرفاق وغيره. وفي الجزائر لا يغفل عن دور الأم والأب كلاهما في هذه العملية ولا يخفت الصوت أيضا عن ذكر دور المعلم في المدرسة كونه أول من يلتقي بالطفل بعد خروجه من أسرته،كذلك برز الإعلام في هذا الوقت وأصبح يلعب دورا كبيرا فقلما يخلو بيت من التلفزيون.

وتتم التنشئة بواسطة عمليتين: تقمص الأولياء والتقليد، فالأولياء القدوة مثال جيد لتنشئة حسنة، وفي الجزائر ينشأ الطفل الجزائري على فعل الخير وحب الآخرين ومساعدة المحتاجين وينشأ الذكور على الرجولة و المسؤولية،والإناث على الحشمة والحياء، وليس من شك أن الأسرة لها الأثر الذاتي والتكوين النفسي في تقويم السلوك الفردي،وبعث الحياة،والطمأنينة في نفس الطفل، فمنها يتعلم اللغة ويكتسب بعض القيم،والاتجاهات،وقد ساهمت الأسرة بطريق مباشر في بناء الحضارة الإنسانية وإقامة العلاقات التعاونية بين الناس،ولها يرجع الفضل في تعلّم الإنسان لأصول الاجتماع،وقواعد الآداب والأخلاق،كما أنها السبب في حفظ كثير من الحِرف والصناعات التي توارثها الأبناء عن آبائهم.

ولقد شاعت وسائل الثقافة حتى كادت تنافس الأسرة في وظيفة من أهم وظائفها وهي التربية ومن وسائل التثقيف القديمة الكتاب والمجلة والتلفزيون والسينما" فمن الثابت أن التلفزيون يؤثر على الأسرة نفسها بل إن دور الأسرة آخذ في الانحسار في ظروف العمل العصرية" (زعيمي ، د.ت ، ص) 176)

، أما في الوقت الحالي فقد ظهرت وسيلتان هامتان هما الإعلام الآلي والانترنيت،وتعود شهرة الوسائل الجديدة كونها تختصر الزمان مع شغلها لحيز جغرافي كبير،فالعالم أصبح كقرية صغيرة.

المبحث الثاني :عوامل التغير البنيوية للأسرة الجزائرية:

1- التغير الاجتماعي:

في السنوات الأولى من الاستقلال،كانت الجزائر تعتمد على الزراعة في اقتصادها الوطني وهذا الاتجاه كان له تأثير من الناحية الاجتماعية خاصة بما يتعلق بالأسرة الموسعة،فالشاب تابع لأسرته وأبيه وذلك لأن هذا الأخير لا يملك وسائل الإنتاج رغم بساطتها،والأرض هي المصدر الرئيسي للريع.

ومع التطورات التي شهدتها الجزائر بعد الاستقلال تحرر الشاب وخرج للعمل بعيدا عن العائلة ليكون أسرة نووية فيما بعد،ولكن رغم هذه التطورات إلا أنه وقفت أمامه عدة عوائق سببت في تثبيطه أحيانا.

لا يكون التغيير في ليلة وضحاها بل يتطلب عدة سنوات وبطء كبير إذا اعترضه عوائق وعقليات تقليدية لها للحفاظ على ثقافتها الخاصة وليست منفتحة على الثقافات الأخرى.

بهذا تغيرت أساليب الحفاظ على الأسرة وقيمها التقليدية بعدما تحررت المجتمعات إلى حد ما من التعصب وفرض القوانين التي تعيق التغيير مما أدى إلى تعدد الأدوار بالنسبة لأعضاء الأسرة الواحدة وجعل سلطة الأب تتراجع للرمزية، والعائلة الجزائرية المعاصرة تحمل تناقضا من جهة فقيم العائلة التقليدية مازالت النشطة جماعيا وأغلبها مثالي،ومن جهة أخرى التحولات السوسيولوجية تقدم ولادة أشكال معاصرة تتبلور بثبات مما يفسر أن الأسرة تدخل في مجال الأخذ والرد في ميدان التغيير فعندما تتاح الظروف تمارس التغيير،وعندما تتأزم الأمور تعود إلى شكلها الأول التقليدي لأنها بقيت كمرجعية في الذاكرة ونظام اجتماعي نموذجي.

بتحسن الظروف في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال،وارتفاع سعر البترول أصبحت "العائلات بالضرورة تقليدية وممتدة،ومميزة للمجتمع الريفي أصبحت معظم العائلات نووية فحدثت عدة تغيرات اجتماعية ضربت عمق المجتمع الجزائري" (الأشرف ، 1983، ص 09) ،حيث أثرت بصفة جلية على شكل وظائف الأسرة بصورة عامة وبنمط مغاير لما عهدته الخلية الأساسية في المجتمع، ويبقى العامل الأساسي والمؤثر هو خروج المرأة للعمل كنتيجة منطقية لفرص المتاحة للتعليم المتساوية بين الجنسين،كما أن ضيق الأسرة من الناحية المادية جعل المرأة والزوجة تعمل وتكسب مورد مالي مما سمح لها بالتخطيط للأسرة والمشاركة في اتخاذ القرارات العائلية التي كانت خاصة بالرجل.

ويظهر التغير في الكم الهائل من وسائل الاتصال وانتشار المميزات الحضرية،فظاهرة التحضر والدخول إلى عالم الاستهلاك والكماليات يتطلب إمكانيات مالية كبيرة ووظائف أخرى فتضطر المرأة للخروج من البيت لقضاء بعض الحاجيات بدلا من خروج الزوج لأنه لا يملك الوقت لانشغاله بالوقت المكثف،زيادة على نمو التنظيم البيروقراطي الرسمي الخاص الدولة. وتركيز هذا التنظيم على الكفاءة الإنتاجية من خلال التخصص فقد أخذ العديد من الأسرة التقليدية خاصة الوظيفة الإنتاجية والحماية، والوظيفة التربوية وجعلها محور عمل مؤسسات رسمية متخصصة وبالتالي كان البناء الاجتماعي للأسرة أن يعدل للتكيف مع مثل هذا التغيرات.

ففقدت العائلة عدة وظائف كانت تحتكرها خصوصا مع تطور المؤسسات الرسمية وتعددها وتعددت أدوار الرجل والمرأة وأصبحت سلطة الرجل وتسييره على الأسرة في تراجع.

1-1 العامل الاقتصادي:

حيث يعتبر أهم العوامل التي أدت إلى تغيير نمط الأسرة نتيجة "الاستقلالية الاقتصادية للأسرة وذلك بالاعتماد على العمل المأجور الذي وفره التصنيع والتحديث والتحضر،كذلك التخلي عن العمل الزراعي وتربية الحيوانات والعمل في القطاع الصناعي والمأجور،فليس من الضروري التكتل بعدد كبير في أسرة واحدة.

وبدأت تظهر الأسرة النووية حتى في المناطق الريفية بوجود أعضاء من المجتمع الريفي الذين ليس لهم أرض خاصة بهم وبالتالي ظهور بعض الحرف والابتعاد عن العمل الزراعي،كما يعود العمل الصناعي على هذه المناطق، بتواجد المواد المصنعة والوسائل الحديثة، وبالتالي الابتعاد عن الاتصال المباشر مع العائلة الكبيرة وبالتالي التقليل من اليد العاملة في القطاع الفلاحي والاتجاه نحو تكوين استقلالية اقتصادية وأسرية.

2-1 العامل الاجتماعي الثقافي:

من الجوانب المهمة في حياة أفراد الأسرة والتي تفرض نمطا معينا من السلوكيات التي هي مرغوبة أو مفروضة من طرف المجتمع وممن يحيطون بهم عن قرب فالأسرة الجزائرية كانت المصدر الأول للقيم والمعايير الثقافية المنهجة لشكل الحياة ونوعية العلاقات بالإضافة إلى ثقافة التكافل الاجتماعي والتعايش.

يبقى التحضر والحداثة شكل جديد على الأسر الجزائرية، فالعيش بالطريقة التقليدية خاصة تعدد أعضاء العائلة بشكلها الموسع شيء مقبول ومألوف، أما البعد الديني فهو مستنبط من الدين الإسلامي الذي يحثّ على برّ الوالدين والإحسان إلى الأقارب، وصلة الرحم، فالدين لا يُحدّد نمط الأسرة ولكن بعض الأفراد من خلال ثقافة دينية تحبذ العيش في ظروف تقليدية،والتي تسمح لهم بالتقرب من الله

واعتبار عدة أمور أنها من باب الدين،فمثلا الزواج المبكر للأبناء لتحصينهم نتيجة اعتقاد وإيمان ديني مما يساهم في تشكيل أسر ممتدة مع صغر الابن وعدم إمكانيته من تأمين بيت منفرد ومستقل عن والديه.

هذا الاستعداد الثقافي لتقبل الأسرة الممتدة يفسر تشكلها وبنائها بعد أن تكون أسر نووية ذلك بعد ضغوط وأحداث لا تسمح بالاستقلالية للأبناء،يقول محمد سبيلا " يتم الانتقال من نظام التضامن العضوي وأولوية علاقات القرابة الدموية إلى دينامية اجتماعية جديدة تسودها قيم ومعايير الاستقلال " (سبيلا ، 2001، ص 364-365)، فتشهد الأسرة الجزائرية تفكك وانفصال الأسرة الزواجية عن الممتدة ثم تتركب عند زواج أبنائها في ظروف خاصة وتحمل ثقافة العائلات الممتدة حتى ولو كانت أسر نووية.

3-1 العامل الديموغرافي:

كلما تكلمنا عن الأسرة يتبادر إلى الذهن عدد الذين سيكونون فيما بعد أسر فالأسرة الجزائرية وبحكم الأصل الريفي التقليدي كان عدد الأبناء يتفاخر به في العائلة،حيث الإنجاب يعد عامل من عوامل تعدد الزوجات للرجل ومع العدد الكبير للأبناء والظروف القاسية الاقتصادية منها والاجتماعية فإن استقلال أحد الأبناء لتشكيله أسرة نووية يبقى قليلا مما يجعل الإخوة المتزوجين الآخرين منتمين إلى الأسرة الممتدة وتحت لواء الأب.

أما في الأسر الحديثة ونتيجة البطالة وتدهور الأوضاع الاقتصادية وأزمة السكن وتأخّر سن الزواج يعمد الأزواج إلى تنظيم الإنجاب،وحتى اليوم تبقى زيادة الطبيعية للنمو السكاني مرتفعة ولكنها شهدت انخفاض بالمقارنة بالسنوات الأولى من استرجاع الاستقلال.

4-1 زيادة نسبة التحضر:

زيادة الحواضر في العالم بصفة عامة وكبر المدن وتضخمها،و تراجع المجتمعات الريفية وتقلصها كنتيجة فرضتها الصناعة،ورغبة الشباب في التحرر من سلطة الأب،كلها عوامل سببت في النزوح نحو المدن.

بالإضافة إلى ظواهر أخرى مثل الاستعمار الفرنسي،وقيام ثورة التحرير ضدّه وتمركزها في الجبال والقهر الذي سلّطه على أصحاب المناطق الجبلية والريفية من طرف الاستعمار كمدعّمين للثورة مما جعل الكثير

يفرون إلى المدن،وبعد الاستقلال ومحاولة البناء الاقتصادي،هجر الكثير من الجزائريين الريف لتوفّر العمل في المدن، وسهولة العيش فيها كما يظنّون، يقول عبد القادر جغلول " رافق الاستقلال موجة ثانية وفي هذه المرة ينبغي احتلال مكان المستعمر.....الموجة الثالثة فهي مصاحبة لانطلاق التصنيع " (جغلول ، 1983 ، ص 225-226).

ثم تأتي التسعينات مع ظاهرة الإرهاب الذي دام عشرية كاملة مما سبب في زحف عدد كبير من الريف إلى المدينة نتيجة الخوف والبحث عن الأمن،كلها أسباب أدت إلى زيادة السكان في المدن وبالتالي زيادة التحضر.

وما يساهم في التغيير الأسري ما تعرفه الأسر اليوم من تراجع نسبة الزواج وارتفاع معدلات الاستمرار في التعليم حتى المراحل العليا،ارتفاع معدلات الهجرة سواء داخل البلد أو خارجه وكذلك ارتفاع نسبة النساء اللواتي يشتغلن في مؤسسات التعليم والصحة والقطاعات الأخرى بمفهوم ذو ازدواجية نظرية مهمة لأنه يعبر عن اجتماعية هجينة ناتجة عن الانتقال من نظام تقليدي إلى نظام حديث دون استكمال عملية التحول بصفة نهائية،والأمر الذي جعل المجتمع يبدو في هذه الصفة المزدوجة بين التقليد والحداثة دون أن يكون أيا منهما.

لدى المجتمع الجزائري وحسب تصوّراته أن المجتمع بشكله التقليدي يبقى هو المثالي، وهو الأصل وكل شيء فيه صواب ويضع له مبرّرات أنه أفضل من العصرنة والحداثة ونلتمس هذا الخطاب عند كبار السن حيث يبقى النموذج التقليدي هو المفضل والمطلوب بما فيه من تعاون وتضامن اجتماعي وحماية للفرد، وبساطة العيش دون تعقيد ودون متطلبات كثيرة.

وفي المقابل نرى محاولة الشباب خاصة البحث عن العصرنة والزيادة في التحضر والرفاهية وتكوين مستقبلهم بعيدا عن تدخل الأهل،ومع الزمن والتغيير الذي أصاب الأجيال أصبح المجتمع يتكون من أفراد أحرار من قيود الجماعة لأن العائلة الأبوية لا توجد، يقول حليم بركات:" لقد تجاوزنا إلى حد بعيد تلك العصبية العائلية التقليدية التي ترى أن غضب الأب من غضب الرب" (بركات ، 1984 ، ص 181) .

ومع ذلك فإن النظام التقليدي للأسرة الجزائرية لم يختفي،ودليل ذلك التضامن من خلال المناسبات أين يعود تشكيل النظام القديم ويعود الأمر للذكر الأكبر أو الأب،كما للأفراد الاستعداد لتشكيل النظام التقليدي والأسرة الممتدة عند أي ظرف طارئ، لأنه الخلفية والمرجعية الثقافية المقبولة وهو محافظ عليه في الذاكرة الجماعية للمجتمع.

2- مظاهر التغير في الأسرة الجزائرية:

لقد شهدت الأسرة في المنطقة العربية ومن بينها الجزائر عدة تغيرات كانت من الطبيعي أن يكون لها الأثر الكبير على دورها التربوي كوحدة اجتماعية ومن هذه التغيرات.

2-1 تغير الأدوار:

يقوم المجتمع بتحديد الأدوار الاجتماعية من خلال التنشئة الاجتماعية،وتوريث قيم ومعايير اجتماعية عن طريق تقليد الأبناء للآباء والكبار بصفة عامة وتقمّص أدوار،يمارسونها في المستقبل وحسب جنسهم وسنهم تتغير هذه الأدوار،ومن خلال هذه الأدوار يمكن أن نعرف ونضع الحقوق والواجبات،والتي تتأثر بالتغير الثقافي والاجتماعي حتى نصل إلى البلدان المتطورة والتي تتميز باختلاط هذه الأدوار بنسبة كبيرة.

فبعد اقتصار العمل على الرجل، خرجت المرأة الجزائرية إلى العمل بعيدا عن الفضاء المنزلي وعرفت العمل المأجور كنتيجة للأوضاع الاقتصادية المزرية،إضافة إلى تعلمها،ومن ثم الرغبة في ممارسة أعمال كانت حكرا على الرجل، لأجل أن تثبت بها مكانتها والتفتح على أدوار أخرى مرتبطة بالعمل والعلاقات المهنية.

كما أصبح الرجال يمارسون أعمالا كانت تقتصر على النساء لقسوة العيش فأصبحت المرأة تعيل أفراد الأسرة في حالة عجز الزوج عن العمل أو كان مورده قليلا، وفي المقابل يقوم الرجل بنشاطات داخل البيت كرعاية الأطفال.

إن النمو المفرط للمؤسسات البيروقراطية في المجال التربوي وشموله مجالات متنوعة تمتد من الدراسة النظرية وحتى الإعداد المهني أعطى للنساء المهارات اللازمة للدخول إلى سوق العمل والتمتع بدخل

اقتصادي مستقل، تخلصت به من التبعية للرجل،فمن قبل ومن خلال دور الزوج أو الأب الذي يعول الأسرة كانت المرأة هي الفضاء الوحيد المخول له بالقيام بالوظيفة التربوية والتعليمية قبل انتشار المؤسسات التعليمية ومؤسسات التنشئة الاجتماعية ومن أبرز هذه المظاهر نذكر:

2-2 دخول المرأة مجال العمل:

إن المتعارف عليه أن المرأة في الأسرة التقليدية تقوم بالعمل المنزلي ومع التغير الحاصل في الكثير من قيم المجتمع الجزائري خاصة الأسرة أصبحت المرأة تقتحم العمل المرتبط بالأجر أو مانسميه بالعمل المؤسساتي، فبعد أن كانت المرأة في المجتمع الجزائري والعربي عموما مجرد مخلوق مطيع للرجل "أن المرأة العربية كائن بغيره لا بذاته" (بركات 1984، ص 181)، أصبحت حاليا تقبل على العمل والتعليم مما غير من مكانتها في المجتمع وخصوصا في الوظائف الموجودة على مستوى القطاع الصحي والتربوي التعليمي.

3-2 تغير مفهوم السلطة:

إن المجتمع الجزائري يحمل في جذوره مفهوم السلطة الأبوية وكانت المواقف الأسرية تخضع للسلطة الأبوية نظرا للبنية الثقافة والمعتقدات السائدة التي على ضوئها تحدد نتيجة العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة أو الأبناء،غير أن حالة الاتجاه نحو مفهوم الأسرة النووية لدى بعض أفراد المجتمع غير من هذا المفهوم وأصبح المفهوم منتقلا من الأوتوقراطية الأبوية إلى مفهوم الحوار أو مانسميه الأسرة الديمقراطية "فالآن أصبحت العلاقات في الأسرة النووية بين أفرادها متساوية و ذلك لمجموعة من العوامل، منها ارتفاع المستوى التعليمي للمرأة " (رمشي ، 2005 ، ص 70).

4-2 تغير الوظيفة الاقتصادية:

كانت الأسرة الجزائرية التقليدية بمنزلة الوحدة الاقتصادية التي تسيطر على الملكية وعلى الأعمال التي يزاولها أعضاؤها وكان رب الأسرة هو الذي يشرف ويدير ملكيتها ويوزع الأعمال، ولكن نتيجة التغيرات التي طرأت على تركيب الأسرة وتغير الوضع الاقتصادي والمهني مع انحسار المهن التقليدية واعتماد الأسرة على الدولة في معيشتها،فتاريخيا نسبة التحضر في الجزائر كانت نسب ضعيفة دليل على أن الحياة الأسرية

كانت حياة ريفية بدوية وتعتمد على النمط الزراعي وروح الجماعة والتضامن الآلي"إن هدف هذه الدفعة الصناعية القوية هي أن تجر خلفها باقي الاقتصاد الوطني، وبشكل خاص الزراعة " (جغلول ، ص .224).

5-2 التغير في القيم و الاتجاهات:

هذا الصراع الحاصل بين الأجيال مرده إلى تسارع وتيرة النمو وهو بدوره راجع إلى عدة عوامل من بينها انتشار الكثير من المؤسسات التربوية مثل المدرسة والجامعات ووسائل الإعلام وبالتالي تعدد الروافد الفكرية بما تحمله من التيارات الفكرية والسياسية والاقتصادية والتي دخلت كشريك أساسي في العائلة الجزائرية خاصة فترة مابعد التعددية السياسية، مما خلق نوعا من التمرد على القيم التقليدية للأسرة الجزائرية ونوعا من التحدي في وجه القيم التقليدية التي يتكون منها النظام الأسري والتي تعتبر الدعامة الأساسية في البنية التركيبية للمجتمع الجزائري وأحدث حالة الصراع الذي نشهده حاليا بين تيار الحداثة وتيار التقليد،يقول علي عزت بيكوفتش "تسير بيوت المسنين جنبا إلى جنب مع بيوت الأطفال المحرومين فهما ينتميان إلى النظام نفسه وهما في الحقيقة حالتان للنوع نفسه من الحلول، فبيوت المسنين وبيوت الأطفال تذكرنا بالميلاد والموت الصناعيين كلاهما تتوفر فيه الراحة وكلاهما مضاد للأسرة، وهما نتيجة للدور المتغير للمرأة في الحياة الإنسانية، وبينهما ملمح مشترك هو زوال العلاقة الأبوية، ففي الحضانة أطفال بلا آباء، وفي دور المسنين آباء بلا أطفال، وكلاهما المنتج الرائع للحضارة والمثل الأعلى في كل طوبيا" (بيكوفيتش ، 1994، ص 265) .

المبحث الثالث: التربية الأسرية والظاهرة التربوية للعائلة الجزائرية:

ترتبط الأسرة بالتربية ارتباطا وثيقا فقد كانت الأسرة في القديم هي المصدر الوحيد للتربية وكان كل فرد يكتسب تدريجيا منذ نشأته أساليب السلوك الفردية للحياة باحتكاكه المباشر مع البيئة التي يوجد فيها، فالتربية آنذاك لم تكن نشاطا رسميا مقصودا كما هو الحال عليه الآن، وإنما كانت جزءا من الحياة اليومية حيث كان الطفل يصاحب أباه بشكل يومي ليتعلم منه مهارات الصيد وجمع الغذاء وهي الحاجات الضرورية في ذلك الوقت، بينما تتعلم الفتاة من أمها الأعمال المنزلية وكيفية إدارته، هذا كان

حال الأسرة في البدايات الأولى للمجتمعات البدائية عندما كانت الأسرة تمثل وحدة اجتماعية اقتصادية، بحيث تقوم بتعليم أبنائها السلوكات والعادات التي يوافق عليها أفراد الجماعة عن طريق التقليد والمحاكاة.

مع مرور الوقت انضمت للأسر ووظائف جديدة ومن بينها وظيفة التعليم بمعناه المدرسي حيث كان يقوم بهذه الوظيفة الكبار من الأسرة أو الجماعة نحو الصغار خشية ضياع بعض خبرات الجماعة خاصة منه المتعلق بالدين.

ومع تطور المجتمعات بدأت تظهر بعض الجماعات التي لها وظائف خاصة مثل الجماعة التي تمارس الطب ومعالجة المرض وآخرون يمارسون السحر الشعوذة وجماعة تقوم بقص الأساطير كل ذلك صاحبه تقدم أساليب الحياة وأنواع المعرفة، هذا التطور الذي شهدته المجتمعات أرغم الأسرة على التنازل تدريجيا عن بعض الوظائف التربوية وغيرها والتي كانت محسوبة عليها لصالح المجتمع الذي أنشئ لها مؤسسات خاصة، كدور الحضانة والمدارس والمعاهد والجامعات والمؤسسات الدينية و يجعل لها مؤسسات خاصة للإشراف عليها.

فمازالت الأسرة لم تفقد هذه الميزة لأنها تعتبر من أهم عوامل التربية بل هي المحدد الأول في عمل التنشئة الاجتماعية، ففيها يتعلم الطفل اللغة والكثير من عادات المجتمع وتقاليده الأخلاقية والدينية وهي البيئة الاجتماعية الأولى التي يتطبع فيها وما يصاحب ذلك من ضوابط ونواهي وبالتالي يكتسب الطفل عادات الجماعة التي ينتمي إليها وهكذا فإن الأسرة تكسبه التراث الاجتماعي وتحافظ على الضبط الاجتماعي.

1-1 مفهوم التربية الأسرية:

التربية الأسرية هي مجموعة السلوكيات والقيم والأخلاق التي تغرسها الأسرة في نفوس أبنائها، فالأسرة هي التي تكون النواة الأولى في حياته الهادئة أو المضطربة، راحته أو شقائه فالتربية التي تربي بها الأسرة أبنائها هي الكفيلة بأن يتعلم من خلالها السلوك المعوج أو المنحرف أو الصحيح، وتعد الأسرة السليمة اللبنة الأساسية في أي مجتمع لذا فإن التعرف على الأبعاد الأساسية السائدة داخل الأسرة

يعطينا مؤشرات واضحة نحو أساليب اكتساب القيم والعادات والمحافظة على المعتقد الديني وانتقاله من الآباء إلى الأبناء لينساب بشكل طبيعي.

فالأسرة إحدى العوامل الأساسية في بناء الكيان التربوي وإيجاد عملية التطبيع الاجتماعي وتشكيل شخصية الطفل وإكسابه العادات التي تبقى ملازمة له، وبالتالي فهي المحدد الرئيسي لرسم شخصية الطفل وهي البوتقة الأولى لتوفير البيئة العاطفية والنفسية والاجتماعية بل هي التي توفر للمراهق بيئة محصنة حتى يتم تقديم المناخ الممتاز لعملية التنشئة الاجتماعية والثقافية للفرد، إذ لا توجد أي مؤسسة اجتماعية أخرى يمكن أن تؤدي هذه الوظيفة أخرى بمثل هذه الكفاءة، وكما يقول بستالوتزي إن الأسرة هي مصدر كل تربية صحيحة يتأثر بها الطفل.

فالأسرة تؤثر وتتأثر بما يوجد في المجتمع، فمثلا المشكلات الاقتصادية التي يعاني منها المجتمع قد أثرت وبصورة واضحة على الأسرة من حيث تدهور القدرة الشرائية مقابل الدخل التي يتقاضاه الفرد مع حجم الأسرة ومتطلبات الحياة الأسرية، إذن فالتربية الأسرية هي المحدد الأول كما أسلفنا في توجيه الفرد نحو الحياة والتعامل معها بإيجابية أو سلبية على حسب نظرته للأمور من خلال ما تغرسه فيه الأسرة التي ينتمي إليها من قيم وعادات والظروف المحيطة بتلك الأسرة، حيث جاء في المعجم الخاص بالتربية" تهتم هذه التربية بتطوير علاقة الإنسان بمحيطه الأول، ونعني به الأسرة أو العائلة، فهي تركز اهتمامها على توعية الوالدين وتدريبهما على كيفية التعامل مع أولادهما، وخلق أجواء من الصراحة والصدق فيما بينهم، وذلك في كيفية التعامل مع المراهقين والإحساس بمشاكلهم والعمل على مساعدتهم بكل الوسائل التربوية المتاحة، فضلا عن الأسرة التي تؤدي دورا كبيرا ومهما في تربية الطفل منذ نعومة أظافره، فهو يتعلم منها الكثير من السلوك والعادات والتصرفات التي تنطبع في ذهنه، وتؤثر في سلوكه الفردي " (جرجس ، د. ت ،ص 163).

1-2 الوظيفة التربوية:

لعبت الأسرة دورا هاما في عملية التنشئة الاجتماعية أو مايعرف بالتدريب غير الرسمي للأطفال على تبني أنماط السلوك والتنشئة الاجتماعية، فهي عملية إكساب الفرد شخصيته في المجتمع لمساعدته على تنمية سلوكه الاجتماعي الذي يضمن له القدرة على الاستجابة للآخرين وإدراك أهمية المسؤولية الاجتماعية وبالتالي تعتبر الأسرة من أهم مؤسسات التربية والتنشئة الاجتماعية إن لم تكن أهمها، والتي لها مسؤولية كبيرة في تربية الأولاد وتحميلهم المسؤولية اتجاه مجتمعهم ليكونوا أفرادا صالحين ضمن مجتمعهم عبر العديد من العمليات مثل التطبيع الاجتماعي أو غيره من السلوكات والعادات التي يكتسبها من أجل الاندماج في المجتمع.

فالأسرة تشكل الوعاء التربوي الذي تتشكل بداخله شخصية الطفل وتكوينه من النواحي الجسمية والنفسية والعقلية والخلقية والاجتماعية، فالتنشئة السليمة هي التي تجمع بين تقويم الجسم وتأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل، وتعتمد عملية التنشئة على مدى وعي الوالدين لمتطلباتها وكذلك لمدى أدائهم لدورهم في رعاية الأبناء وتلقينهم القيم والمثل وصيغ السلوك التي تجعلهم يتوافقون مع الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال الأساليب والطرق التي ينتهجها الوالدين فأساليب التنشئة الأسرية كما يقول ميرل التي يتبعها الوالدين تعد عاملا أساسيا في توجيه شخصية الأبناء وأن تشكيلها نتاج لهذه الأساليب يقول فايز مراد دندش "حيث أن للأسرة تأثيرا في استجابة التلميذ منذ البداية للمدرسة ولهذا السبب أولى علماء الاجتماع التربوي وعلماء التربية اهتماما لمثل هذا التأثير" (دندش ، 2002 ، ص 120) .

بناءا على ما سبق فإن الأسرة تعد أقوى مؤسسة يستخدمها المجتمع في عملية التنشئة وهذه الأخيرة ما هي في جوهرها إلا عملية صياغة الثقافة للفرد أو نقل التراث الاجتماعي والثقافي من جيل إلى آخر.

1-3 التربية في الأسرة الجزائرية:

تعطي الأمم والمجتمعات أهمية كبيرة للتربية لما لها من دور في التطور والتقدم،فالتربية من جهة لها معنيين أحدهما ضيق والآخر واسع، ومن جهة ثانية معنى عام وخاص فمعناها الضيق هو تعليم الطفل

ثقافة وقيم مجتمعه ،ومعناها الواسع مجموعة المؤسسات والمناهج والخطط التي تتبناها الدول لتعليم أفرادها الكتابة والقراءة والمهارات والتقنيات الضرورية في حياتهم ومعاشهم ومهنهم.

والمعنى العام للتربية هو التهذيب، أما المعنى الخاص والذي يهمنا في هذا البحث هو ذلك الجهد المستمر المبذول من طرف الأسرة لتنشئة الطفل تنشئة اجتماعية سليمة تحترم قيم وعادات وثقافة مجتمعه، "فالحياة الأسرية بما فيها من علاقات، وما تحمله من معتقدات تؤثر تأثيرا فعالا على ميولات الطفل ونزعاته، كما تؤثر على شخصيته فتنشأ الأخلاق الفاضلة أو الرذيلة" (بن قطيب، 1992-1993، ص 33).

وتختلف التربية بين الجنسين فالذكور تختلف تربيتهم عن الإناث نظرا للخصوصية البيولوجية والمورفولوجية من جهة،وكذلك نظرا للضوابط والقيود التي تتحكم في المجتمع وتجعل التفضيل لأحدهما على الآخر، فتربى البنت لتكون أما ومسئولة بيت، وتحث على الحب والعطف وتهذب على الحياء والحشمة الجمال، بينما يربى الذكر ليكون أبا وربا للأسرة وصاحب مسؤولية وينشأ على السلطة والقوة والجلد والصبر، كما يعلم الأقدام والجدل والشجاعة والمروءة

إن التربية عند الأسرة الجزائرية تحاول أن تطبع سلوكات أفرادها بما يتطابق مع أهدافها التربوية ومضمونه الاجتماعي، وهذا لا يكون إلا عن طريق ترسيخ نظامها التربوي في الطفل من خلال تلقينه الأهداف والمبادئ التربوية المراد تثبيتها في ذهنه وللوصول إلى ذلك تستعمل العائلة مجموعة من الطرق والأساليب التربوية تحقق لها أهداف المرجوة من هذه العملية، وعلى هذا الأساس تقوم العائلة الجزائرية بتكوين أفرادها سواء ذكورا وإناثا تكوينا تربويا يتماشى مع النظام التربوي والاجتماعي العام.

4-1 التربية الأخلاقية والآداب العامة:

من البدايات الأولى لنشأة الطفل نجد العائلة الجزائرية تحاول جعل الطفل خاضعا لها ويبدأ هذا منذ نعومة أظافره عبر تلقينه الآداب المتعلقة بالأكل والشراب،إذ تحاول العائلة تجنيبه بعض العادات الغريزية مثل الجشع والطمع والإفراط في الأكل وعدم مشاركته الآخرين في الأكل وغيره، ومحاولة التطبيع الاجتماعي من خلال تعويده على مشاركة الآخرين وبالتالي الذوبان في الجماعة مع تعليمه الكلام الجيد

والتواضع والاحترام والتحفظ والحياء أمام غيره من الأقارب والأصدقاء والكبار، وبالتالي يكتسب سلوك اجتماعي مقبول.

ثم تنتقل الأسرة بعدها إلى تلقينه المبادئ التي تحث على الخير وتذم الشر إلى نفسه والابتعاد عن الأفعال القبيحة التي تعيبها الأوساط الاجتماعية بالإضافة إلى بعض السلوكات التي لا يقبلها المجتمع الجزائري مثل أفعال الحرام وشرب الخمر أو عدم القيام بالصلاة أو عدم صيام شهر رمضان وغيرها من الأفعال المشينة مثل سب الآباء والشيوخ أو الكذب الذي يظهر في بعض الأحيان على أنه شيء غير خطير إذا كان بين الإخوة ذلك لأن العلاقات الداخلية قوية على العكس إذا كان الكذب على الوالدين فهو يعتبر شيء سيء وبصفة عامة كل السلوكات المنافية للديانة الإسلامية.

بالإضافة إلى تعليمه تحية الآخرين خصوصا إذا كانوا أكبر منه سنا فالتحية تبدأ من الأكبر إلى الأصغر سنا وبعض الفضائل الأخر مثل الإيثار والاعتذار والشكر والتعاون وإعطاء الصدقة للفقراء مرضاة لله،وكنوع من التكافل الاجتماعي مابين أفراد الجماعة والمجتمع أو من أجل ترسيم اندماجه وتقبله في المجتمع.

يستنتج من كل هذا أن الطفل عند تلقينه وتلقيه لهذه المبادئ التربوية يتوصل إلى اكتساب نموذج تربوي يساعده في التأقلم مع الحياة والدخول في المجتمع والحياة الاجتماعية.

5-1 التربية الاجتماعية الثقافية:

بعد أن تضمن العائلة ترسخ المبادئ التربوية الأولية الخاصة بالأخلاق والآداب العامة، تمر الأسرة إلى محاولة تعليم الطفل أهم القواعد العامة الاجتماعية والثقافية التي يجب أن يتحلى بها في سلوكياته الحياتية من هذه المبادئ، وجوب خدمة الأسرة والمحافظة على القيمة الاجتماعية للعائلة فالتربية عمليا تحاول إذابة الفرد داخل الجماعة من خلال تعويده على المساهمة في تماسك العائلة والمحافظة على بقائها وتعويد ممثلي الجنسين على المحافظة على النظام الاجتماعي، وذلك بالتصرف حسب النظام الاجتماعي القائم من خلال الفصل بين الجنسين وتعلم الأفراد كل التفاعلات والعلاقات التي يجب

اتخاذها حسب كل موقف أو عند وجود أشخاص معينين مثل القيام بالسلوك العدواني في حالة ما إذا تعرض أحد أفراد الجماعة إلى العدوان أو هدد الكيان الأسري من خلال توفير الأمن وكذلك تحمل الأعباء والمسؤولية بالنسبة للذكور.

من هذا نستخلص أن التربية الاجتماعية والثقافية المقدمة الطفل الجزائري تجعل منه قادرا على الاندماج في المجتمع عبر تكوينه بقالب اجتماعي ثقافي متميز عن غيره دون الخروج عن آليات المجتمع.

6-1 تربية الذكور:

تختلف تربية الذكور عن الإناث في المجتمع الجزائري نظرا لميزات وخصوصيات كل تربية ذلك أن الولد هو الذي يرث العائلة ويصبح قوتها وعمادها مستقبلا، وتنحصر عملية الرعاية كلها في يد الأم إذ تمثل الأم بالنسبة للولد العالم الاجتماعي الأول، الذي يتعلم منه أهم الأمور التربوية الأولى كالشكر والاعتذار عند الخطأ، ومع نموه تعلمه وجوب الدفاع عن نفسه وأن لا يصبح جبانا ونزع الخوف من نفسه وبهذا يتعود الطفل شيئا فشيئا اللعب مع الرفاق والجلوس مع الجماعة وعن طريق مثل هذه الأساليب التربوية تترعرع في نفسية الفرد ميزة الرجولة والشجاعة ومع تقدمه في السن يجد الفرد نفسه مدفوعا للقيام بعلاقات أخرى.

ثم بعد ذلك يتعلم معايير الحذر والتحفظ من خلال إتباعه القانون الاجتماعي السائد في البيت الذي يساعده على التحكم في الأفعال والسلوكيات وبمجرد نموه ودخوله في المجتمع الذكري يشعر بنوع من التمييز لصالحه على حساب البنت من خلال الحريات التي يتمتع بها بينما، في المقابل يخضع لبعض الأوامر مثل احترام من هم أكبر منه خصوصا الذكور ولهذا نلاحظ أن الذكر في العائلة الجزائري يخضع لتربية مزدوجة فهو من ناحية حر ومن ناحية أخرى خاضع.

نتيجة لهذا فإن الطفل لا يكون حرا إذا ما خالف المبادئ التربوية للأسرة فإذا ما حاول تقليد الأنثى فإنه سيعامل بقسوة نظرا لمخالفته القانون الاجتماعي السائد في الأسرة الشيء الذي يجعل الطفل يتعلم دوره كذكر بسرعة، فيصبح أكثر اعتمادا على النفس أكثر خشونة واستقلالا من الأنثى " فعملية التكييف

الاجتماعي للفرد تتكون من النموذج أو القالب الاجتماعي الذي يفرضه المجتمع فالمجتمع يتقبل تبعية الأنثى للكبار واعتمادها عليهم كظاهر طبيعية، بينما ينظر إلى تبعية الذكر واعتماده على الكبار كدليل على الضعف والتخنث" (الخولي ،1984، ص 30).

ومنه يتحصل الطفل على نمو نفسي واجتماعي مناسب يتلائم مع بيئته الاجتماعية والجدير بالذكر أن هذه التنشئة الاجتماعية متشبعة بالخصائص التربوية ذات النموذج التقليدي المستمدة من القواعد الدينية والمعتقدات والعادات والتقاليد شأنه في ذلك شأن الأسرة في العالم العربي " فدوره كرجل يقوم على قاعدة الاعتماد على الذات والاتزان والصلابة والسيطرة ،ويعتبر الزوج أو الولد المعيل الأساسي للأسرة وينتظر منه أن يؤمن احتياجاتها" (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ،2001، ص 16)

"بل يروض على أن يسيطر على كل ماهو أنثوي داخل ذاته وخارجه" (حمداوي ،2000 ، ص19)

1-7 تربية الإناث:

تعتبر تربية البنات من أصعب الأمور التي تأخذ حيزا كبيرا من جهد الأسرة الجزائرية نظرا للأهمية التي يتميز بها العنصر النسوي في المجتمع، لهذا نجد الأسرة تهتم بتربيتها أحسن تربية قصد إعدادها منذ الصغر للحياة الزوجية فتبدأ بتعليمه كيفية الأكل والجلوس والكثير من المحرمات مثل عدم اللعب مع الذكور وعدم البقاء خارج المنزل لوقت متأخر.

بعدها تتلقى البنت المفاهيم التربوية المتعلقة باللياقة والآداب حتى تعرف كيف تحترم الآخرين وكيفية الاعتناء بنفسها من خلال الهندام والاهتمام بالمظهر الخارجي لها ثم تقوم بتلقين البنت كيفية القيام بالعمل المنزلي والواجبات الاجتماعية التي تلتزم بها، وتبدأ بكيفية تحضير الأكل أو غسل الأواني ثم بعد أن تكبر تقوم الأم أو العائلة بإعدادها لما يسمى بمرحلة التسيير المنزلي سواء بتسيير ميزانية المنزل عبر إشراكها في ذلك أو عبر تكليفها ومن ثم تصحيح أخطائها.

بالإضافة إلى ذلك نلاحظ أنه مع تقدم البنت في السن تزداد القيود والممنوعات قصد التقليل من حريتها مثل عدم التعامل مع الذكور وتجنب الحديث معهم سواء في المدرسة أو الشارع لأنها تنتمي إلى الجماعة

العائلية، وبالتالي التقيد بما تمليه عليها الجماعة خاصة جماعة النساء فإن حاولن التمرد فإنها ستواجه بالردع من طرف الرجل وكل هذه الأساليب قصد تهيئتها وإعدادها للحياة الزوجية من أجل الحفاظ على المكانة الاجتماعية للعائلة " الطريقة التي يستجيب بها الإخوة كل للآخر تعتمد إلى حد ما على الأسلوب الذي يعاملهم به الآباء" (الخولي ،1984، ص 292) ، ناهيك عن نوعية القيم والمعايير الاجتماعية التي يتشربونها منذ الصغر والتي تبقى كنظام يتبعونه في مختلف سلوكاتهم وتفاعلاتهم الاجتماعية.

وتلقن البنت أيضا قواعد السلوك والآداب المرتبطة بالحشمة والشرف، إذ يجب "أن يتسم حديثها بالحياء والعفاف، فلا يعلو صوتها أو تتلفظ بلفظ بذيء أو خادش للحياء (...)وأن تجلس الابنة بطريقة لا تظهر العورة أو مفاتن الجسد" (عبد الحميد محمد، 1998، ص261)وأن تحرص على ارتداء ملابس محتشمة.

" تحاط علاقة الفتاة بالجنس الآخر ،بعدد من الموانع القوية ،حتى لتتماد يبعض الأسر إلى حد منعها من الحديث مع أي شاب غريب حتى لو كان الحديث بريء ،وإذا سمح بالاختلاط ،فلابد أن يكون في حضور الكبار" (عزت ، 1985 ، ص144).

- العلاقات الأسرية الجزائرية:

تحكم العلاقات الأسرية ضوابط عدة، فالصغير مطالب باحترام الكبير وطاعته وإجلاله وعلى الكبير الرفق بالصغير والشفقة عليه، وتقوم العلاقة بين الزوجين (الأم والأب) على الاحترام المتبادل والتكامل والتساند وتقاسم الأدوار في تربية الأطفال وتسيير الأسرة، لكن أحيانا يسود الخلاف وتعم الشحناء بينهما لما تتباين أمزجتهما وتتعارض أدوارهما كأن تستولي الأم على دور الأب، أو يتخلى هذا الأخير عن مسؤولياته وعجزه عن أداء دوره الأبوي أو الزواجي، ويطيع الأطفال أوليائهم وأجدادهم طاعة كبيرة قل مثيلها إلا إذا لم يجد الأبناء في هؤلاء القدوة وسن المعاملة.

العلاقات الاجتماعية الأسرية بين الجنسين وبين الكبار والصغار تختلف من مجتمع لآخر ومن حقبة تاريخية لأخرى،وتخضع طبيعة هذه العلاقات لصيرورة تطور المجتمع ،فتتبدل وتتغير صيغها وفق التحولات التي تطرأ على هياكلها التحتية والفوقية.

"المقصود بالعلاقات الأسرية، هي دراسة وفهم التفاعلات داخل الأسرة،وتحديد الدور و الوظيفة التي يقوم بها كل من الأفراد المتفاعلين داخل التكوين الأسري، فكل فرد منهم اعتبارا من الزوج و الزوجة– الوالدين والأبناء -الأبناء بعضهم ببعض–الأسرة ككل والمجتمع الخارجي–كل منهم دور خاص ووظيفة خاصة يقوم بها".(يوسف علي ،1999، ص 81).

وفي الأسرة الجزائرية كما هو معروف نلاحظ تواجد وجود ظواهر مثل التفرقة مابين الذكر والأنثى وأيضا التمييز بين الأفراد حسب السن إذ أن القيمة التي تستند للطفل في الأسرة تتوقف على حسب سنه وجنسه، فقد يرى الآباء في الذكر استمرارية لهم لذا يعطى أهمية أكثر من البنت وكذلك إذا كان الابن أكبر إخوته فيفضل على إخوته الصغار.

وعلى أساس هذا التمييز بين الأبناء من ناحية العمر والجنس، تنشأ العلاقة بين الإخوة ويحدث التفاعل بينهم مما يعطي الأفضلية لذلك فيستطيع أن يتدخل في شؤون أخواته البنات ويراقب سلوكهن ويجد التدعيم حتى من طرف الوالدين مما يؤدي بالأخت أن تكون خاضعة،من خلال هذا نلحظ أن البنات يملن إلى التمثل للقيم والمعايير الأسرية في التفاعل مع إخوانهن، فهن يبدين تأقلما مع الفكرة الاجتماعية السائدة حول دورهن الذي يتحدد بالقبول والتسليم وحتى الخضوع بالعمل والخدمة للأسرة ونتيجة لذلك تبرز الأخت وتنمي شخصيتها وبالتالي تشوب العلاقة مابين الأخ وأخته نوع من عدم المساواة نوع من الظلم والاستبداد يتمثل في خضوع الأخت مع عدم الاختلاط فيما بينهم.

أما الظاهرة الثانية في العلاقات الشخصية بين الإخوة الكبار والصغار فتتمثل في الخضوع اللامشروط من الصغار للكبار باعتبار أن الأخ الأكبر هو الذي يخلف أباه في حالة غيابه بتحمل أعباء الأسرة كأن يقوم ببعض الأعمال لصالح إخوته الصغار أو أن يحميهم مما يزيد من احترامهم له، وبالتالي يعتبر كنموذج لتعلم الدور الاجتماعي الواجب إتباعه في الحياة، وتبعا لهذا يتمتع الإخوة الكبار بنوع من التمييز يفرضه عامل السن مما يبين نوع العلاقة التي يستند إليها في عامل السن وبالرغم من العلاقات المنظمة في التراتبية لعامل السن، إلا أننا نلاحظ أنه قد يظهر الصراع إذا كانت الأعمار متقاربة بين الإخوة الذكور مما

يستدعي تدخل الوالدين خصوصا الأم إذ هي التي تعلم أبنائها نماذج السلوك والتفاعلات والعلاقات الضرورية في الحياة الاجتماعية وتسوي الصراعات والهدف من تدخل الأم هو إقامة علاقة ديناميكية بين أبنائها والتظاهر الاجتماعي.

مما سبق يمكن استنتاج أن العلاقة التي تربط بين الإخوة في الأسرة الجزائرية هي انعكاس لطبيعة العلاقة بين الأبوين ونتيجة لظاهرة التمييز بين أفراده من ناحية السن والجنس.

يقول تشارلز كولي في كتابه التنظيم الاجتماعي :"أنني أعني بالجماعات الأولية ،تلك التي تتميز بالتعاون والترابط الوثيق بين الأفراد ،وهي أولية بمعاني عديدة، ولكنها أولية في الأساس لأنها ضرورية وحيوية في تكوين الطبيعة الاجتماعية للفرد ومثالياته ،ومن نتيجة هذا الارتباط الوثيق على المستوى النفسي ،التحام شخصيات الأفراد في وحدة كلية، ومن ثم تصبح الذات الفردية معبرة عن حياة الجماعة وأهدافها " (غيث، د ت، ص 55).

المبحث الرابع: الظاهرات التربوية السائدة في العائلة الجزائرية:

تسود العائلة الجزائرية ظواهر اجتماعية مختلفة تهدف كلها إلى تنظيم الحياة الاجتماعية وتجديد طريقة العيش والتعامل بين الأفراد مشكلة بذلك نظاما اجتماعيا ثقافيا يستنبط منه كل فرد القواعد والمعايير النفسية، والاجتماعية والتربوية التي يجب أن يتبعها في تفاعله الاجتماعي اليومي مع الآخرين والتي يستلزم عليه أن يلقنها لأعضاء عائلته حتى يتبنوا قيم النظام على أحسن وجه ويكتسبوا أدوارا اجتماعية تتماشى مع مميزاته و أهدافه.

ومن بين الظواهر التي يتربى عليه أفراد الأسرة، إمتثالية الزوجة للزوج والأبناء للآباء ثم هناك السلمية الأسرية التي بفضلها يعرف كل فرد حدود تدخلاته وتفاعلاته مع العضو الآخر ومن الظواهر السائدة التفرقة الجنسية مابين الجنسين وكذلك التشبث بالقيم الأخلاقية حتى تستطيع أن تبرز الوجه الإيجابي للآخرين.

1-1 الطاعة:

تكاد تكون ظاهرة طاعة الزوجة لزوجها والأبناء لوالديهم هي إحدى أبرز الظاهرات في الأسرة العربية (حطب ، 1983، ص 188-189) ولا تختلف العائلة الجزائرية عن غيرها من الأسر العربية نظرا للتاريخ المشترك وعامل الدين وطبيعة السكان المشتركة في القيم والتقاليد، ففي هذا المجال تحث كثيرا على هذا السلوك وتعمل على ترسيخه منذ الصغر لأنه الأساس في التماسك والتناسق العائلي، والدليل على هذا الاهتمام تلك الروح الأبوية المتجلية في الخضوع "الأعمى" النابع من الاحترام والخوف من الأب وهذا النمط العلائقي نجده من المرأة إلى الرجل ومن الصغير إلى الكبير ومن الإخوة الأصغر سنا إلى الذين يلونهم.

2-1 السلمية الأسرية:

يخيم على العائلة الجزائرية جو من الاحترام أو المحافظة على التسلسل السلمي، ويسود بين أفرادها نوع من الترتيب فيما يخص مقام كل واحد وهذه السلمية تكون حسب الجنس والسن ومنها يكون الهيكل التنظيمي العائلي مما يحدد لكل فرد دوره في هذه الجماعة، ويجعل حدودا فاصلة بين الفاعلين الاجتماعيين وهي الدوافع التي من خلالها يحرص الأب على حدود السلمية الأسرية راجع إلى خوفه من أن يتأثر هذا النظام والهيكل العائلي وبالتالي زوال الحدود وتشجيع اللامبالاة الأمر الذي يعاكس النموذج الثقافي الاجتماعي الجزائري السبب الذي يجعل الأسرة الجزائرية تظهر كمنظومة اجتماعية منغلقة على ذاتها ذات سلمية أسرية صعبة النفاذ وجماعة ملتحمة " (الشيخ ، 2001) ففي الوسط العائلي الجزائري السلمية في السن تلتقي مع السلمية في الجنس " (لبرش ، 2001-2002 ، ص50)

3-1 التفرقة بين الجنسين:

نلاحظ في العائلة الجزائرية مجموعة من السلوكيات والممارسات الاجتماعية التي تعكس هذا التمايز بين الجنسين فالبنت الصغيرة تلاحظ مبكرا هذا التمايز بينها وبين الذكور وتعرف أن مكانتها الأسرية الاجتماعية ومكانة أخيها الذكر مختلفان فيحرم عليها اللعب خارج المنزل أو الاختلاط بالجنس الآخر، بينما يشجع الطفل على ذلك فالطفل بمجرد دخوله المجتمع الذكوري من خلال محوه لمفهوم الأنثى وسلطة

الشاب وحلوله محل أبيه سواء في تسلطه على أمه أو إخوته إذ نجد سلسلة لا تنتهي من الامتيازات لصالح الذكور على حساب الإناث لأن الذكر يعتبر محور وعماد المجتمع الجزائري"وقد اكتسب هذه المنزلة لأنه يحقق حلم العربي المزدوج: الخلود والرجولة " (حطب ،1983 ، ص 190).

4-1 الذوبان في الجماعة العائلية:

الشيء الملاحظ أن الأفراد في العائلة الجزائرية عندما ينجحون لا ينجحون لأنفسهم بل لعائلاتهم وعلى هذا الأساس فإن أي نجاح سواء كان مهنيا أو ماليا، لا يعتبر نجاحا فرديا بل يعود على الجماعة التي ينتمي إليها إن لم نقل أنه هو نوع من الاشتراك في الجهود والمكاسب، وإذا ظهر نوع من الاستقلالية وعدم الاحترام أو التمرد على أحد أفراد العائلة، يلجأ باقي أفراد العائلة إلى أساليب مثل التهديد أو الترغيب أو الابتزاز في محاولة منهم لردع هذا الفرد الذي خرج على الجماعة،كنوع من الآلية الدفاعية للحفاظ على تماسك الجماعة وبقاء انسجامها من اجل استمرارها، وبالتالي الاندماج في الجماعة وعدم الخروج عن مبادئها وقيمها والقبول بكل التضحيات من أجل الحفاظ على استمرارية الجماعة التي ينتمي إليها"يلاحظ هذا التفاخر خاصة في الخارج حيث العائلة تعمل على إظهار الوجه الأكثر تشريفا ....لهذا يجب على كل فرد عضو في العائلة أن يخضع لهذه التعاليم حتى يبرز الوجه الإيجابي، وهذا مايسمى الشرف" (بوراكي، 2001-2000 ، ص 211).

وفي المقابل هناك الأسرة المنشئة لهذا الزوج أو هذه الزوجة (الأهل) تتوقع من أبنائها الاهتمام والرعاية والود في ظل تعدد الأدوار وتناقضها إضافة إلى أن الزوج (الذكر) مازالت تسانده الأعراف والنظم السائدة في المجتمع.

خاتمة:

يكفي أن ننظر من حولنا لنؤكد أن الأسرة الجزائرية تمثل نسقا معقدا ومتنوعا، فهي ليست نووية وليست ممتدة بالنظر إلى بنيتها، إنها لا عصرية ولا تقليدية بالنظر إلى أدائها الوظيفي.

فدراسة الأسرة الجزائرية تتطلب بحوثا تنطلق من عدة مقاربات واضحة وأحيانا مكملة لبعضها البعض لأن الأمر يتعلق بأسرة يتحكم بها الدين الإسلامي، والعرف السائد في المجتمع وعادات أخرى لها امتداد موغل في التاريخ، لأننا حقا في أمس الحاجة إلى تراث نظري وتطبيقي حول خصائص الأسرة الجزائرية تسمح أيضا بتصحيح كثير من المفهومات المتعلقة بالأسرة في علاقاتها بأنساق المجتمع الأخرى، فهناك عدد كبير من السلوكات الناجمة عن الأزواج والزوجات والآباء والأبناء مثل توقع الرجل الجزائري من زوجته أن تكون مطيعة له كما كانت والدته بالنسبة لأبيه بينما تحلم هي بزوج يعترف بمكانتها ويقدر وظيفتها خارج المنزل ويحترمها من خلال مركزها المهني.

قائمة المصادر والمراجع

- **الكتب**

الأشرف، مصطفى 1983 **الجزائر الأمة والمجتمع**، تر حنفي مصطفى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

بركات،حليم 1984 **المجتمع العربي المعاصر" بحث استطلاعي اجتماعي "**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان .

بوتفنوشت، مصطفى ،1984، **العائلة الجزائرية التطور والخصائص الحديثة** ،تر: دمري محمد ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر.

بيكوفتش، علي عزت. 1994، **الإسلام بين الشرق والغرب**، تر: محمد يوسف عدس، دار الشروق، القاهرة .

جرجس، ميشال جرجس، د ت، **معجم مصطلحات التربية والتعليم عربي-فرنسي- أنجليزي**، بيروت، دار النهضة العربية .

جغلول، عبد القادر 1983 **تاريخ الجزائر الحديث: دراسة سوسيولوجية**، تر: فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت، ط 3، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر .

دندش، فايز مراد. 2002، **علم الاجتماع التربوي بين التأليف والتدريس**، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر.

الوحيشي، أحمد بيري ،1998 **الأسرة والزواج: مقدمة في علم الاجتماع العائلي**، الجامعة المفتوحة، طرابلس.

زعيمي ،مراد ، د ت، **مؤسسات التنشئة الاجتماعية** ، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

حطب، زهير، 1983، **تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة**، ط 3 ، معهد الإنماء العربي، بيروت.

الطيبي، محمد، 1992، **الجزائر عشية احتلالها أو سوسيولوجيا قابلية الاحتلال** ، وحدة البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية، ،وهران .

يوسف علي ،أميرة منصورة. 1999)، **محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر .

عاطف غيث ،محمد . د.تا **علم الاجتماع الحضري**، مدخل نظري، دار النهضة العربية، بيروت.

عبد الحميد محمد ،آمال، 1998، " **القيم الأخلاقية للمرأة– دراسة متعمقة لقيمة العفة والشرف"**،الإسكندرية ،دار المعرفة الجامعية.

عزت ،حجازي. 1985 ، **الشباب العربي ومشكلاته**، سلسلة عالم المعرفة رقم 05، ط 2، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

الخولي ، سناء .1984، **الأسرة والحياة العائلية**، بيروت، دار النهضة العربية.

- الرسائل الجامعية

بن قطيب ،عائشة ، 1992-1993، **التحضر وتغير بناء الأسرة الجزائرية**، رسالة ماجستير، معهد علم الاجتماع، جامعة الجزائر.

بوراكي ،محمد المختار ، 2000-2001 ، **عوامل وآثار تأخر زواج الجامعيين**، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، قسم علم الاجتماع.

لبرش ،راضية ، 2001-2002، **نظام الزواج في الريف الجزائري بين الثابت والمتغير**، رسالة ماجستير، جامعة باتنة: قسم علم الاجتماع.

رمشي ،ربيعة، 2005 ، **مشاركة الأمهات الجزائريات في عملية صنع القرار داخل الأسرة**، رسالة ماجستير، الجزائر.

الشيخ ، فتيحة، 2001 ، **السيطرة الذكورية في نظر المرأة الجزائرية المثقفة** ،رسالة ماجستير، قسم علم النفس وعلوم التربية ،جامعة الجزائر.

- المقالات

حمداوي، محمد، 2000، **"وضعية المرأة والعنف داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي"** مجلة إنسانيات، عدد 10، جانفي-أفريل

- التقارير

اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، 2000 ، **الشراكة في الأسرة العربية**،سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية رقم31، نيويورك ، الأمم المتحدة.

Livres:

Bourdieu Pierre 1974 **Sociologie de l'Algérie, Coll. Que Sais-je** ? n °802, PUF ،Paris.

Boutfnechout Mustapha 1982 .**La Famille Algérienne, évolution et Caractéristiques récentes,** SNED، Alger ,